عواد كرهون

للشاعر الفرنسي فرنسوا كوبيه

بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

جانينا — قف التوقيع فأني لا أستطيع أن أخدعك أكثر من هذا فانى أعرف كبرياء الفنان وأقاسمك إياه كما شاطرتك آلامك فيما مضى ولكن ليس ذلك الذى يسيل عبراتى

فيليبو — وماذا إذن ؟

جانينا — سأسبب لك آلاماً ثقالا ولكنك ستشفق على بلا ريب . وحينما قلت لك أيها الصديق القديم إن الحب تغلغل فى فؤادى وإنى كنت أتمنى النجاح لأحد المتنافسين وإن سعادتك هدمت سعادتى

فيليبو — أواه !

جانينا — يحسن ألا يتملكك الغضب ، إننى كنت أجهل كل شيء لأنك لم تظهر لى شيئاً ، وكنت أظنك كعامل مبتدئ ، وهذا أمر طبيعى ، ثم تمنيت أحسن الأمانى للرجل الذى أحبه ، وإن كنت أعرف هذه الأمور لما ترددت فى قرارى نحوكما وكنت أقنع بهذه الفكرة من أنك أذكى منه وأمهره وما كنت أبكى كاليوم

فيليبو — (مشيراً إلى الباب الذى خرج منه صاندرو) هل تحبين ؟ . . .

جانينا — (بصوت منخفض) نعم ! . . .

فيليبو — صاندرو !

جانينا — أنظر ، فانى أودعك سرى دون تردد . . . وهو الذى كان يغذى فى الأمل فى نجاحه ، ولكني بعد ما سمعته لا أري أن يؤمل فى هذه الجائزة . وما أقسى أن يفقد الانسان الامل ! ولكن حزنى ليس مؤلماً لأن رفيق طفولتى وأخى الذى يجب أن ينال هذه الجائزة باستحقاق وجدارة وكان ذلك فوق طاقتى . . . فعفواً

(ثم تبكى وتعول)

فيليبو — إننى فى الحقيقة أتألم أكثر منك فأرجو منك . . .

جانينا — أواه ! إن هذا سبئ وإنى لظالمة . . . وقد نسيت بؤسك ولم أفكر فى شئونك . ليس لك فى محلنا أيها الدنف النحيل والصديق المسكين غير فنك الذى يمزيك ، فقد انتهى حزنى لأننى كنت حمقاء ، ومن العدل إذن أن يكون نصيبه الحب ونصيبك الفخر ؛ وسيكون ساندرو العزيز زوجى على كل حال ، وإنك فنان عظيم تثير إعجابى ، وإنى أحبك وأريد أن أقسم لك (ثم تأخذ يديه)

ولن أبكي عوض . . . أنظر فانى أبسم . . .

(ثم تصعد الزفرات)

ولكن هذا فوق طاقتى ! (ثم تخرج)

المنظر الثامن

فيليبو (وحده بعد تأمل مؤلم) — قطعت جهيزة قول كل خطيب ! اعترفت بكل شيء وإنها تحب رجلا آخر ، وهكذا حلت مشكلة سعادتى بكلمة واحدة ، نعم رجل آخر ! . . . هذا الشاب العامل . . لم تدهش وتعجب بعد كل هذا ؟ وتتهمها بالظلم والعسف ؟ . . . إن الأمور تجرى بطبيعتها أيها التمس . وفي سنها هذه تحلم الفتيات بحبيب مماثل

لهذا الشاب، وأنت أيها السقط المنكود الذى تضحك السوقة فى طريقه ، أما نظرت وجهك قط فى المرآة ؟ ولكننى لم أنظر شيئاً ؟ يالله من والحماقة !

هيا أيها الأحدب واختبئ فى جحر ! إنها تحب ساندرو ! وليكونا سعيدين هانئين ! وأنت ، اذهب لشأنك ، تألم ومت ! أواه ! أية حسرة تنهش فؤادى ! إننى أشعر بشىء انطفأ منى إلى الأبد . وماذا يفيدنى الآن أن أدخل فى هذه المسابقة والطمع فى الانتصار الوهمى ؟ ماذا تعمل أيها الفارق فى أحلامه والذى لا يريد المجد الا ليظفر منها بالقبول والاعجاب والذي لم ينجح إلا فى إسالة دمعها ؟ ولا حاجة لى فى المنافسة وإن ساندرو ليعد بعدى أمهر الصناع ، فليأخذ الجائزة ليكفكف عبراتها (ثم يأخذ كمانه)

وأنت يامن بذلت كل ما فى وسعى لنجاحها أصبحت عديمة الفائدة حتى إننى أحتقرك الآن أنت وآمالى ويجب أن أحطمك (ثم يتوقف)

رباه ! أية فكرة تنهش فؤادى ! وإذا نجح عامل آخر وحاز الجائزة فهل يتزوجها؟ ان حبها لا يليق بى ! بل هو مضحك !... كلا ! فان الاخلاص هو الذى يتقدم بينا أنا أتقهقر ! لأن الكمانين متشابهتان فى الشكل ، وإنى أستطيع أن أتنازل عن عملى بأن أغير الظرف لأن ساندرو ليس له روح موسيقية ليتسنى له أن يفرق بين صنعه وصنعي . وحينما يأخذون الآلات لتجربتها هناك سأقول له حذرا من فتح ظروفها وسترسل إلى المحكمين الآن ... إننى لا أريد أن تبكى هذه المسكينة ، وأنت يا كمانى ينبغى أن تحطمي لأنك تستطيعين أن تمنعيها من التألم ؟ فلتشجع ونقدم لها هذه الخدمة العظيمة

(ثم يفتح الظرفين ويضع كمان ساندرو فى الظرف الأحمر ثم يقول وهو يضع كمانه فى الظرف الأسود)

ومع ذلك فان هذه تضحية قاسية فظيعة لم تخطر على بالى ـ أيتها القلوب الانسانية الضعيفة ـ إننى صرفت أياما طوالا أشتغل فيها بيدى ، إن روح الفنان المشتعل قد أودع فى هذه الآلة الحنو الأبوى المؤثر . إننى أحبك كثيرا أيتها الآلة العزيزة التى صنعتها ، وداعا إلى الأبد . إننى أضمك فى هذا الظرف الضيق الأسود ، وأظننى فى حداد وأنا أضمك هذا الوضع كأننى ألحد ابنتى فى رمسها

(ثم يقفل الظرف بسرعة ويقول بصوت مختنق)

قد تم الأمر !

المنظر التاسع

فيليبو — المعلم فيرارى — ساندرو

المعلم فيرارى (وهو داخل)

هيا ياساندرو ... وفيليبو... قد اقتربت الساعة ولم تتهيآ بعد للذهاب

ساندرو (يدخل من اليمين) — قد تم كل شىء يامعلمي !

فيليبو (مشيراً إلى الظرفين) — هاهما جاهزتين

المعلم فيرارى — أتمنى لكما النجاح ياولدىّ ، إننى أستاذ فى فنى وهؤلاء المدعون يفرطون فى الاكثار من وضع القلفونيا على كمانهم الرديئة ! وستكون الجائزة لنا — لأنى جلت جولة فى المدينة فرأيت الناس جميعهم فى استعداد لهذا اليوم مرتدين ملابس الأحد يسيرون زرافات ليشاهدوا اجتماع اللجنة ، ويرى من بعيد رئيس الكنيسة وهو متربع فى كرسيه الكبير ، ينظر من بعيد وهو مبيض من البودره كأنه شجرة تفاح فى ابريل . تجول فى الهواء نفحة شجية ، وفى الطريق لا يستنشق الناس ويشمون غير الموسيقى المنبعثة من مزمار «أورتب» ومزهر « أبولون » ، وفى جميع مفارق الطرق تسمع أصوات الكمان صادرة من نوافذ غرف الأسطحة .

وجميع الأبراج وتنبعث من مدينة كريمون أصوات مختلطة متتابعة فى الصعود كأنها الاوركستر قبل رفع الستار !

صاندرو — هل ستتبعنى يا فيليبو ؟

فيليبو — كلا يا زميلى ... فانى أينما ذهبت يضحك منى ويهزأ بى ويضطرنى لحمل صنمى مع صنمك ، فتصرف كمنافس مخاص لأنك فى بعض الأحيان تكون بعيداً عن الاخلاص ، وفضلا عن ذلك فان دار المحافظة قريبة جداً

(ثم يتناول يد فيليبو التى مدها إليه)

صاندرو — نعم

فيليبو — شكراً لك !

(ثم يخرج صاندرو حاملا الكمانين فى طرفيهما)

المنظر العاشر

فيليبو — المعلم فيرارى

فيليبو (على حدة) — أواه ! قد تمت الضحية فلنتشجع ! ... (بصوت عال إلى فيرارى) ألا تذهب لتشاهد صنمه مكللا بالنجاح ؟

المعلم فيرارى — نعم سأذهب ، ولكن صاندرو لم يأخذ الجائزة بعد وإنك لتستطيع أن تنال السلسلة الذهبية ، وهل أنت أقل منه ذكاء ومهارة ؟

فيليبو — كلا ! فانك تعرف جيداً أننى سيئ الحظ

فيرارى — إنك تشك كثيراً فى نفسك وإنك لا تقل عن مهرة صناع الآلات الموسيقية ؛ وإن نلت الجائزة فانى أبر بقسمى معك وأختارك لى صهراً وخلفاً

فيليبو — أيها الأستاذ !

فيرارى — دعنى أتم حديثى فانى أعلم بدقائق الأمور ، وستكون رب بيت عظيم ، واعلم أننى حينما بنيت على عقيلتى كانت سنى ضعف سنك الآن ففتحت هذا المحل ولم أكن فى ذاك الوقت ذا جمال ناضر ولو أنه كان مقبولا ولكن فارقته قليلا تلك النضرة ، وكانت زوجى فى ربيعها العشرين ذات دل ، وهذا بلا شك فيه خطره فافتتن بها كثير من الشبان الأعيان فكانوا يقصرون نزهتهم على هذا المكان . وفى المساء يأتون زرافات ويوقعون شجى الألحان على آلاتهم الوترية . ألا تعجب الآن حينما تعلم لأى حد تنقذ المصادفات شرف رجال فننا وكيف بعت فى النهار لجميع هؤلاء الفتيان ذوى الجمال الباهر كثيراً من القيثارات ، وكنت أستدل من صوت آلاتهم وأنا نائم على ضراب هذه الألحان ، وراقبت زوجتى وحافظت عليها بكل دعة واطمئنان وجمعت ثروتى هذه بلا مشقة ولا عناء

ويل لك ! لقد نسينا المسابقة وتأخرت عن الذهاب فناولنى عصاى لأذهب على عجل

(ثم يخرج من اليمين)

المنظر الحادى عشر

فيليبو — جانينا

فيليبو — إننى لمتشوق لتحقيق كل ذلك (ثم يلمح جانينا داخلة وبيدها كتاب صلوات) ، إنها هى !

جانينا — إننى آتية يا فيليبو من الكنيسة ، ولقد ذهبت وقلبى مثقل بالهموم ... ! ودعوت الله أن يكلله بالنجاح رغماً من جميع الاعتبارات ، وحينما ركعت أمام القديسة سيسيل شعرت بأن الله لا يتقبل طلباً غير عادل . ومهما حصل فقد عاهدت الله يا صديق أن أستمر معك كما كنت دون أن أغير شيئاً من طباعى ، قالى الملتقى القريب ... !

(ثم تخترق المسرح وتخرج من اليمين)

المنظر الثانى عشر

فيليبو (وحده) — ما أشد حمقه فوا أسفاه ! ولو كنت قويًّا جميلاً مثله لأحبتنى حبًّا جمًّا ... !

المنظر الثالث عشر

فيليبو — ساندرو

ساندرو (يأتى من الداخل مهرولا بعنف واضطراب)
— فيليبو ! فيليبو ... !

فيليبو — ماذا دهاك ! فانى أرى عينيك مغرورقتين بدمعهما ووجهك شاحباً ماذا عراك ؟

ساندرو — لقد اقترفت إثماً فاضحاً ، إننى لمجرم عفواً ... ! عفواً ... ! عفواً ... !

فيليبو — من ؟ أنا ؟ أنا الذى أسامحك أيها الصديق ؟ وماذا جرى ؟

ساندرو — إننى — كما ترى — قد فُتنت بها وسيطرت على نفسى ، وقد أنتصر على مزاحم أمام عينيها ، وإنى لتمس نذل حسود . وحينما حملت كمانك — وهى صفوة صنعك — سولت لى نفسى ويا للعار والفضيحة ، وقد فارقنى صوابى من الغيظ والألم ، فوقفت وأنا أرتعد كاللص ، فى ظل رتاج بزقاق ضيق وبدلت الكمانين

فيليبو — أنت ؟

ساندرو — لقد قدمتهما للمحكمين ، وحينما فتح الخبير الظرفين لم أستطع رؤية ذلك وركنت إلى الفرار . إنتقم منى إذن أمام الاشهاد وافضح عملى ! ولكن كن بى رحيماً ولا تطلعها على فعلتى الشنعاء . وسأكتب لك اعترافاً بالجريمة ثم أذهب لأموت بعيداً لأن الخجل قتال . ولكنى أتوسل إليك ألا تدع وجهى يحمر خجلاً أمامها

(ثم يركع أمامه)

فيليبو — كلا يا ساندرو فلا حاجة لى إلى الانتقام فلقد انتقمت أنت من نفسك

ساندرو — ماذا تقول ؟

فيليبو — هذا الفخر الذى يرجع الفضل فيه إلى صفوة أعمالى هذه قد تنازلت عنه لك ولكنك رددته إلى

ساندرو — وكيف ذلك ؟

فيليبو — هاتان الكمانان اللتان بدلتهما قد كنت بدلتهما أنا بيدى

ساندرو — ماذا أسمع ! فان توبيخ ضميرى يحول دون فهمى ؟ وما الذى اضطرك لهذا العمل ؟

فيليبو — لأنى أعبدها وأنت الذى فضلتـه وإن كان فؤادى يفيض حسرة مؤلمة . ولو كنت أبحث عن الشجار من فعلتك فانها قد محت كل ما عملته لأجلها ...

ساندرو (ينهض) — لقد اقترفت إثماً وأود أن أنال قصاصه ، فتفوّه بكلمة لأذهب حيث لا أعود . وإن نسيتنى جانينا فسأستسلم لله ... وستجعلها تحبك لأنك الوحيد الجدير بها ... إننى أرحل ... ويجب ألا أتردد (يسمع صخب فى الخارج)

فيليبو — لا تبرح مكانك وأطعنى !

المنظر الرابع عشر

الجميع (يدخل فيرارى ثم يرفع ذراعيه صوب السماء حينما يشاهد فيليبو وقد سار وراءه جماعة العوادين وحاجبان يحمل أحدهما السلسلة الذهبية على وسادة والثانى كمان فيليبو وقد زينت بالأزهار والأشرطة الحريرية — وتظهر جانينا على عتبة الباب الأيمن) — ليحى الفنان الماهر !

المعلم فيرارى (مخاطباً فيليبو) — تعال بين ذراعى فإنى أنادى بك ملكاً للفن وإنى أبر بوعدى أمام الاخوان الزملاء فأنت إذن شريكى وصهرى وقلبى ! وقبل كل شىء أمنحك هذه السلسلة الذهبية ...

(ثم يناوله إياها)

فيليبو (يأخذها ويذهب إلى جانينا ويضعها فى عنقها) — إننى أمنحها جانينا الحسناء لتجعلها أحب الحلى إليها حينما يبنى عليها صديقى ساندرو

جانيتا — لافض فوك يا فيليبو البار الطيب

ساندرو (بصوت منخفض) — صديقى النبيل ! وأخى العزيز !

المعلم فيرارى — مهلا ! أما تمنيت قط أمانى فرسان مالطه وأنك تستطيع أن تتزوج منها ...

فيليبو — كلا ! يا أستاذى الطيب وإنى أود أن أذهب بعيداً لأحمل مى شهرتك ، ومن الغد سأسيح فى إيطاليا . أنظر فإنى حلمت حلماً ، والذى يتأتى حدوثه لم يحدث ، نعم سأذهب وأنا سعيد جداً إذا كان ذهابى يحدث بعض الأسف وهذا كل ما أتمناه (ثم يجذب نحوه ساندرو وجانيتا)

وحينما يعود المحل إلى العمل ويستتب لك الحظ بجانب حبيبتك وتعمل عملك الذى تعودته وإن كان بعض الأوتار ذات الصوت الشاكى ، ينقطع بين أصابعك فاذكر معاً أننى أشعر فى هذا الوداع الأليم الهائل أن قلبى يتمزق مثل هذه الأوتار الشاكية ! إننى أعرف أنكما لا تستطيعان أن تعملا شيئاً فى هذا الأمر . ولا تنسيا أنى كنت ولا أزال أحبكما حباً خالصاً صادقاً !

المعلم فيرارى — أيها الناكر الجميل ! أتريد أن تخرب بيتى ؟

فيليبو — إننى أترك لك ساندرو

فيرارى — ما هذا الميل الغريب ! أتزرع هنا السعادة والثروة وما إليهما ... وما الذى حفظته لنفسك ؟

فيليبو (وهو يمسك بكمانه) — احفظ هذه (على حدة)

وستعزينى وتكون سلوانى فى همومى وأشجانى !

(تمت) محمد كامل حجاج

الجودة الفائقة و الذوق الجميل
والثمن المعتدل
تلك هى العوامل الثلاثة التى تسير عليها
شركة مصر لنسج الحرير
عند ما تنتج أفخر أنواع الأقمشة الحريرية
ألحوا فى طلب منتجات
شركة مصر لنسج الحرير
إحدى مؤسسات بنك مصر